

التنشئة الأسرية ودورها في الأمن الفكري رؤية إسلامية

بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري
«المفاهيم والتحديات»

في الفترة من ٢٢-٢٥ جماد الأول ١٤٣٠ هـ
كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات
الأمن الفكري بجامعة الملك سعود

إعداد

عماد عبد الله الشريفين

أستاذ مساعد في التربية الإسلامية، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، اربد،
الأردن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

الأُسرة هي المكان الذي يحتضن الطفل ويرعاه، ويحرص على تلبية احتياجاته، فهي المكان الذي يتعلم فيه القيم والعادات والتقاليد، ويتلقى أحكام الدين، وتنمو فيها مشاعر الألفة والمودة والمحبة، وقد اهتم الإسلام بالأسرة، وأرسى قواعدها حتى تحقق أهدافها المنشودة، فدعا إلى بناء الأسرة على أسس سليمة في الاختيار، لقوله عليه الصلاة والسلام: "تنكح المرأة لأربع ، لما لها ولحسبها ولجمالها ولدينها ؛ فاظفر بذات الدين تربت يداك"^(١). فدعا إلى أن تكون العلاقة القائمة بين الزوجين علاقة قائمة على المودة والرحمة، يقول سبحانه وتعالى: **چڈ ژ ژ ژ ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ** (سورة الروم: ۲۱) ، كما وجه الإسلام إلى ضرورة أن تكون التنشئة الأسرية للأفراد سليمة صحيحة، وأن تكون شاملة لجميع جوانب الشخصية الإنسانية.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

الأسرة حقل اهتمام للعديد من العلوم في المجتمعات الإنسانية، وتكمن أهميتها كوها تحتضن الفرد منذ ولادته، وهي حلقة الوصل بين الفرد والمجتمع، وتترك أثراً بعيد المدى في جوانب شخصية الفرد، وقد تعددت الأنماط المتبعة في التنشئة الأسرية من قبل الوالدين أو أحدهما، فإذا كانت مثيرة لمشاعر الخوف والقلق وعدم الشعور بالأمن والإحباط، ترتب على ذلك سوء توافق الطفل الشخصي والاجتماعي، أما إذا كانت التنشئة تقوم على الحب والاحترام وإشباع الحاجات، ترتب عليه تنشئة أفراد متمتعين بصحة نفسية ومتوافقين مع أنفسهم ومع مجتمعهم.

فالدراسات تشير إلى أن التنشئة الأسرية القائمة على التسلط، تلعب دوراً مهماً في ظهور سلوكيات مضادة للمجتمع ، وكذا التنشئة الأسرية القائمة على التذبذب، تسهم في ظهور حالات سوء التكيف والصراع والعنف مع الآخرين، وتؤدي بالفرد أن يكون عدوانياً منقاداً لرغباته، وغير مسؤول عن سلوكه وأفعاله تجاه الآخرين ، وسلك سلوكاً عنيفاً تجاههم^(٢).

وعليه فتسعى هذه الدراسة إلى الإجابة على السؤال الرئيس الآتي:

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري ، ، ص ١٩٥٨،

(٢) انظر أحمد عكاشة ، الطب النفسي المعاصر، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٨م . جلال الدين عبد الخالق ، الجريمة والانحراف ، الإسكندرية ، مكتبة سامي ، ١٩٩٧م .

ما دور التنشئة الأسرية في تحقيق الأمن الفكري للأفراد من المنظور الإسلامي ؟ والذي يتفرع عنه الأسئلة الآتية:

١. ما مفهوم كل من التنشئة الأسرية، الأمن الفكري؟
٢. ما قواعد التنشئة الأسرية في وقاية الأفراد من الانحراف الفكري ؟
٣. ما وسائل التنشئة الأسرية في تحقيق الأمن الفكري للأفراد ؟
٤. ما وسائل التنشئة الأسرية في علاج مظاهر الانحراف الفكري لدى الأفراد؟

أهداف البحث:

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

أولاً: بيان مفهوم كل من التنشئة الأسرية، الأمن الفكري.

ثانياً: توضيح قواعد التنشئة الأسرية في وقاية الأفراد من الانحراف الفكري.

ثالثاً: الكشف عن وسائل التنشئة الأسرية في تحقيق الأمن الفكري للأفراد .

رابعاً: الكشف عن وسائل التنشئة الأسرية في علاج مظاهر الانحراف الفكري لدى الأفراد.

منهج الدراسة:

يعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي التحليلي الذي لا يقف عند مجرد الوصف وجمع المعلومات بل يتعدى إلى التحليل والتعليل والمتمثل بالآتي:

- جمع النصوص ذات العلاقة بموضوع الدراسة من القرآن الكريم والسنة المطهرة.
- الرجوع إلى كتب التفسير والحديث النبوي والمؤلفات المعاصرة التربوية والنفسية لفهم النصوص وتحديد المعالم الرئيسة للبحث.
- تحليل النصوص وبيان العلاقات والآثار المترتبة عليها.

خطة الدراسة

المقدمة: وتشمل مشكلة الدراسة وأسئلتها، وأهدافها ومنهجها، والخطة التفصيلية.

المبحث الأول: تحليل مفاهيم الدراسة الرئيسة.

المبحث الثاني: قواعد التنشئة الأسرية في وقاية الأفراد من الانحراف الفكري.

المبحث الثالث: وسائل التنشئة الأسرية في تحقيق الأمن الفكري للأفراد.

المبحث الرابع: وسائل التنشئة الأسرية في علاج مظاهر الانحراف الفكري لدى الأفراد.

الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مفاهيم الدراسة الأساسية

تشمل الدراسة مجموعة من المفاهيم والمصطلحات الرئيسة التي لابد من توضيحها وبيانها وبيان أهدافها وعناصرها الأساسية.

مفهوم التنشئة الأسرية:

التنشئة الأسرية مركب وصفي يتكون من كلمتين: الأولى التنشئة والثانية الأسرة وقبل بيان معنى التنشئة الأسرية باعتبارها مركباً تركيباً وصفيّاً ، لابد من بيان مفهوم كل من : التنشئة و الأسرة.

مفهوم التنشئة:

التنشئة في اللغة: نشأ يُنشئ، تنشئةً، بمعنى التربية، وأنشأ إنشاءً، بمعنى الإيجاد والإحداث، ونشأ، ينشأ، ونشوءاً. بمعنى حدث وتحدد (١)

والتنشئة في الاصطلاح: مجموعة أعمال التكوين والتربية والنماء والحركة والتغيير والإحداث والإيجاد للشيء أو الطفل في مراحله الأولى حتى يكتمل (٢).

مفهوم الأسرة:

الأسرة في اللغة: الدرع الحصينة، وأهل الرجل وعشيرته، وتطلق على الجماعة التي يربطها أمر مشترك وجمعها "أسر" (٣).

تعددت تعريفات الباحثين لمفهوم الأسرة، إلا أن الباحث لم يقف على تعريف جامع مانع لمفهوم الأسرة، ومن أهمها

"مجموعة من الأفراد الذين يعيشون تحت سقف واحد، ويرتبطون برابطة النسب أو الزوجية" (٤) أو هي "جماعة اجتماعية أساسية ودائمة، ونظام اجتماعي رئيس، وهي ليست أساس وجود المجتمع فحسب بل هي مصدر الأخلاق، والدعامة الأولى لضبط السلوك، والإطار الذي يتلقى فيه الإنسان أولى دروس الحياة الاجتماعية" (٥)

ويرى الباحث أن الأسرة: هي مجموعة الأفراد الذين يجمع بينهم رباط الزوجية أو النسب، وتهدف إلى تلبية الحاجات الأساسية للزوجين، وإيجاد النسل الصالح وتعمل على تنمية شخصيات أفرادها ، بشكل متكامل من جميع الجوانب الفكرية والعقلية والنفسية والجسمية ...

(١) أحمد العايد وآخرون، المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة، الكويت، ١٩٨٨م، ص ١١٩٢.

(٢) مصطفى حوامة، التنشئة الاجتماعية في الإسلام، اربد، دار الكندي، ط١، ١٩٩٤، ص ٢.

(٣) إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٧٣، ١٧/١.

(٤) مروان القيسي، نظام الأسرة في الإسلام، عمان، دار النفائس، ط١، ٢٠٠٨م، ص ١١

(٥) سناء الخولي، الأسرة الحياة العائلية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٤، ص ٣٧

مفهوم التنشئة الأسرية باعتبارها مركباً تركيبياً وصفيّاً:

تعددت تعريفات العلماء للتنشئة الأسرية ، ولعل من أهم هذه التعريفات:

- 1- "عمليات تحول وتحويل متنامية للفرد من كائن فطري بيولوجي إلى راشد اجتماعي وتنطوي على عملية تعليم وتعلم وتربية ، قائمة على التفاعل الاجتماعي بين الفرد وبين القائمين على تنشئة المواقف الحياتية المختلفة، يكتسب من خلالها خصائصه العقلية والنفسية والاجتماعية، كما يكتسب خلالها معايير السلوك والقيم والاتجاهات والتوقعات، والمعرفة الخاصة بثقافة مجتمعه العام والخاص، ويتحدد دوره في محيط أسرته ومجتمعه"^(١).
- 2- وتُعرّف بأنها "عملية تربوية تقوم على أسس نفسية واجتماعية متفاعلة ، تتم بصورة شعورية ولا شعورية، فهي عملية تربوية حقاً؛ لأنها تتضمن تعليمًا يقوم به الكبار، وتعلم يكتسبه الصغار، فالراشدون يقدمون لأطفالهم ما لديهم من خبرات وعادات ولغة وأنماط سلوكية، ومعارف وحضارة، والتعلم يقتضي التغيير والاكتساب لكل ما يناله الفرد من خبرات ومعارف"^(٢).
- 3- وتُعرّف بأنها "عدة سلوكيات اجتماعية مكتسبة ومتعلمة ، يقوم بها الطفل نتيجة التفاعل المتصل والمستمر بالوالدين، وباطراد النمو تتطور معه نتائج هذه العمليات التي تتخذ أنماطاً سلوكية أكثر تركيباً ، والتي تعد هامة لإعداده ليكون عضواً فعالاً في أسرته وفي المجتمع"^(٣).
- ويرى الباحث أن التنشئة الأسرية من منظور إسلامي: مجموعة الأساليب والوسائل المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، والتي يمارسها الوالدان والمحيط الأسري مع الأبناء الصغار، من أجل بناء شخصياتهم في الجوانب الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية.
- مفهوم الأمن الفكري وأهميته :**

الأمن: ضد الخوف^(٤) يقال أمن أمناً أي اطمأن ولم يخف فهو آمن، وأمن البلدُ أي اطمأن فيه، وأمن فلاناً على كذا: وثق به واطمأن إليه أو جعله أميناً عليه^(٥) ومنه: الأمانة وهي ضد الخيانة^(٦).

وجاءت كلمة الأمن في القرآن الكريم بنفس المعنى اللغوي، حيث تعني الطمأنينة وعدم الخوف، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: **چأ ب ب ب ب پ پ پ پ چ الأنعام: ٨٢**] وقوله سبحانه: **چث ت ثج [قریش: ٤]**

(١) محمد صو الحة، ومحمد حوامدة، أساسيات التنشئة الاجتماعية للطفولة، أربد، دار الكندي، ط١، ١٩٩٤، ص ٢٨.

(٢) عبد الحميد الهاشمي، المرشد في علم النفس الاجتماعي، جدة، دار الشروق، ١٩٨٩، ص

S. L. Albercht & D. L. Thomas. Social Psychology New Jersey: Prentice – Hall Inc, 1980. (੩)

(٤) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، طبعة القاهرة، ج٤، ص ١٩٩.

(٥) إبراهيم أنيس وآخرون، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٨.

(٦) جمال الدين بن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر بيروت، ١٩٥٥، مادة أمن

ويرى الباحث أن الأمن ؛ هو تهيئة المناخ ، وتوفير الظروف من أجل الإحساس بالطمأنينة والثقة ، وهذا الإحساس يدركه الفرد بقواه العقلية وإحساسه العام ، مما يجعله يبذل الجهد لحمايته والمحافظة عليه.

مفهوم الفكر:

الفكر كلمه تدل على إعمال العقل^(١). أو إعمال الخاطر في الشيء^(٢). وهي اسم جنس يطلق على الأفكار الحاصلة من وظيفة التفكير، والتعقل التي أودعها الله في قلوب الناس^(٣).

وفي الاصطلاح: "اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان، سواء أكان قلباً أم روحاً أم ذهنًا بالنظر والتدبر، لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومه أو الوصول إلى الأحكام أو النسب بين الأشياء^(٤). وقيل: "المعقولات والمعاني التي تنتج عن تفكير البشر، وتأخذ شكل عقيدة أو مبدأ يؤمن به، فتتكون منه العقائد والتصورات البشرية المصدر وتكون باعثة ومؤثرة على السلوك"^(٥).

ويرى الباحث أن الفكر في هذه الدراسة ، مجموعة المفاهيم والتصورات والمبادئ والعقائد التي يؤمن بها الإنسان والتي مصدرها الوحي الإلهي المتمثل في الكتاب والسنة أو التصورات البشرية المنضبطة بالوحي الإلهي .

مفهوم الأمن الفكري:

تعددت تعريفات الباحثين للأمن الفكري، منها أنها المفاهيم والتصورات الاعتقادية والمبادئ الثقافية والقيم والقناعات التي تعني بأسباب الطمأنينة والسعادة وتشيعها في المجتمع وتقيه من عوامل الخوف والإرهاب ومسببات الخطر^(٦).

وقيل : أن يعيش المسلمون في بلدانهم ومجتمعاتهم ، أمنين مطمئنين على مكونات ثقافتهم ومنظومتهم الفكرية المنبعثة من الكتاب والسنة^(٧).

(١) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة فكر .

(٢) لسان العرب، ٦٥/٥.

(٣) ابن منظور، عبد الله الجربوع، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، الجامعة الإسلامية، ط٢، ١٤٢٨هـ، ٥٨٤ص/٢.

(٤) طه جابر العلواني، الأزمة الفكرية المعاصرة، تشخيص ومقترحات علاج، المعهد العالي للفكر الإسلامي، والولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٨٩م، ط١، ص١٥.

(٥) عبد الله الجربوع، مرجع سابق، ١٣/١.

(٦) جميل بن عبيد الله القارعة، الأمن الفكري في الإسلام مقوماته ومزاياه في الأمن، رسالة الإسلام، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، ٢٠٠٥م، ص١٥.

(٧) عبد الرحمن السديس، الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري في الأمن الفكري، جامعة نايف العربية، ط١، ٢٠٠٥، ص ١٦.

وقد توجه الأسرة الفرد نحو القراءة والمطالعة ، مثل قراءة القصص الإسلامي ، والكتب الفكرية ، والمجلات الإسلامية ، التي تعرض الإسلام وتنقل الأخبار وتعالج المشكلات بأسلوب شيق وجذاب ، يؤسس لبناء فكري سليم عند الفرد يوسع من خلالها فكره ويزوده بالمعلومات التي يحتاج إليها فتفتح مداركه العقلية، ولكن وللأسف فبعض الأسر تشتري لأطفالها القصص المخيف المضطرب الذي يرب الطفل ويقضي على خياله، فكل ما في هذه الروايات المأجنة أو البوليسية يساعد على الانحراف الفكري، فالطفل عندما تنطبع في ذهنه الصور وتتأصل في مخيلته المشاهد فيعمد إلى محاكاتها وتقليدها .^(٢)

[illegible]

(٤) رواه الترمذی، سنن الترمذی، ج ٤، ص ٦١٢، حدیث ٢٤١٧.

٣٠.؟ ويقول عليه الصلاة والسلام: "إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحاً خبيثه" (١)

ثانياً: التحذير من التقليد السلبي للأفراد المنحرفين فكرياً :

من العوامل التي تؤدي إلى اهتزاز أمن المجتمع المسلم، سعي الأبناء إلى التقليد السلبي، فالتقليد السلبي يحدث الفوضى والاضطراب في صفوف المجتمع الإسلامي، وقد حذر الإسلام من التقليد، يقول عليه الصلاة والسلام: "لتبتعن سنن من قبلكم شيراً بشيراً، وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى، قال فمن غيرهم" (٢). فالتقليد السلبي يحدث المشابهة والتفاعل والانصهار مما يضعف التمايز والاستقلال، فيكتسب الشخص المقلد الأخلاق والسلوك وأساليب الحياة، حتى يصل الأمر إلى العقائد والأفكار والثقافة، حتى يفقد الشخص المقلد مقوماته الذاتية.

وقد بين ابن تيمية الآثار الناجمة عن التقليد، وما تحدثه من فوضى وانهازية بقوله: "إن المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسبا وتشاكلا بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال ... " (٣) لذا يجب على الأسر تربية الأبناء على معاني التقوى والإحساس الدائم بمراقبة الله تعالى في كل شيء، وترك التقليد المفضي إلى هدم الإنسان، وتكشف لهم عن المخططات الماكرة من أجل هدم المجتمعات الإسلامية .

ثالثاً: الثواب والعقاب في الأسرة:

إن غياب الثواب والعقاب عن واقع التنشئة الأسرية في حقيقته، دعوة للعبث والاضطراب في المجتمعات، فالمتأمل في واقع المجتمعات المعاصرة، يلحظ أن الإخلال بالأمن في كثير من صورته ناتج عن غياب الثواب والعقاب داخل الأسر، فالثواب له الأثر الطيب في إصلاح النفوس، وتهذيب الأخلاق، وما من خطوة تعليمية أو توجيهية أو عقائدية إلا ويقرنها الإسلام بالثواب والعقاب، فالجزاء الذي يتلقاه الفرد داخل الأسرة جراء سلوكه هو العلاج الحاسم الذي يضع الأمور في نصابها، والغاية من العقوبة في التنشئة الأسرية حماية الفضيلة، وأمن المجتمع المسلم من أن تتحكم فيه الرذيلة أو يسوده الاضطراب، فالفرد عندما يفكر في أن يسلك سلوكاً يزعزع فيه أمن المجتمع ثم يتذكر العقوبة التي تنتظره فإنه يتراجع، وحين يرى بقية الأفراد العقوبة تنفذ لا تسول إليهم أنفسهم ارتكاب السلوك الخاطئ ولنا في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم عدداً من النماذج التي يقتدى فيها من صور وأشكال الثواب والعقاب، فقد استخدم النبي عليه الصلاة والسلام

(١) محمد ناصر الدين الألباني، صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٢٣٦٨) .

(٢) سبق تخريجه. أنظر ص

(٣) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٣م ص ١٥.

إن من أهم عوامل الانحراف الفكري لدى الأفراد أن تكون الأم غير مسلمة، أو أن يكون من يقوم على رعايته في البيت من غير المسلمات، فهذه أو تلك تنقل معها عادات قومها وثقافتها وعقائدها.

وتشير نتائج البحوث إلى أن نسبة الخادmates غير المسلمات ، بلغت حوالي ٦٠-٧٥% وعدد منهن ليس هن ديانة سماوية أي تقدس الأوثان وتعبد الأبقار ، وتبلغ الخطورة ذروتها إذا علمنا أن أكثر من ٥٠% منهن يقمن بالإشراف الكامل على الأطفال مما يجعل هن علاقة وطيدة بالأطفال فيتعلق بالخادمة أكثر مما يتعلق بأمه^(٣)

وأقل ما يمكن أن تحدّثه الخادمة من انحراف فكري ، الإخلال في عقيدة الطفل من حيث أن توقع في نفسه حب الكفار واحترامهم ، وتقديمهم على المسلمين ، وهذا هدم لمبدأ الولاء البشري ، وتؤثر في لغة الطفل

(٣) إبراهيم خليفة، المربيّات الأجنيبيّات في البيت العربي الخليجي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٧هـ ص ٦.

والتي هي أداة التفكير والاتصال ، واللغة في الوعاء الفكري والثقافي والحضاري الذي ينقل الطفل من خلاله عقيدته وقيمه وعاداته وتاريخه^(١) .

وأظهرت نتائج الدراسات الميدانية أن قرابة ٢٥% من الأطفال في الأسر التي أجري عليها الاختبار يقلدون المربيات في اللهجة، وأن أكثر من ٤٠% تشوب لغتهم لكنة أجنبية^(٢) إضافة إلى أنه يمتد تأثير الخادمة إلى الأخلاق، وخاصة إذا كان الطفل في مرحلة متأخرة من الطفولة ؛ أي البلوغ، فتمارس معه الجنس ، أو تطلعه على قضايا جنسية لا يعرفها. أليس هذا كله يؤدي إلى الانحراف الفكري والسلوكي الأخلاقي؟.

المبحث الثالث : وسائل التنشئة الأسرية في تحقيق الأمن الفكري لدى الأفراد:

إنّ تكوين فكر الطفل بكل ما هو نافع من العلوم والثقافة يشكّل لديه القدرة على التفكير السليم المستقل، فيحكم على الأشياء من خلال خبراته مستفيداً من خبرات الآخرين، هي من أهم أهداف التنشئة الأسرية السليمة، التي تحمي الفرد من الفكر المنحرف الذي يستهدف قيم وأخلاق المجتمع والذي له تأثيرات مدمرة على حياة الفرد والمجتمع؛ وفيما يلي بعض الوسائل التي يمكن للتنشئة الأسرية أن تزود الفرد فيها حتى يتحصن فكرياً.

الوسيلة الأولى :التنشئة الأسرية توجه إلى تعلم القراءة والكتابة وطلب العلم

إن القراءة والكتابة مفتاح الدخول إلى مختلف العلوم التي تبني العقل وتوجهه إلى الطريق المستقيم، ولا يمكن للإنسان أن يتقن العلم إلا إذا تعلم أدواته، وهي القراءة والكتابة فمفتاح العلم القراءة والكتابة فهما أساس بناء العقل، وما نبغ النابغون من العلماء إلا بتلك الهمة العالية في القراءة والاطلاع، ومن الدلائل التي تدل على اهتمام النبي ﷺ بالقراءة والكتابة فداء بعض أسرى بدر بتعليم أولاد الأنصار الكتابة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان ناس من الأسارى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة"^(٣).

كما أن النبي ﷺ كلف الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس من بني عدي ، أن تعلم الكتابة لأُم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها، فعنها قالت: دخل علينا النبي ﷺ، وأنا عند حفصة رضي الله عنها فقال لي ألا تعلمين هذه رقعة النملة كما علمتها الكتابة"^(٤).

(١) عدنان باحارت، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، مرجع سابق، ص ٥٥٦-٥٦٠.

(٢) إبراهيم خليفة، مرجع سابق، ص ٦١.

(٣) رواه أحمد، المسند، ج ١، ص ٢٤٧، حديث رقم (٢٢١٦)، حسنه شعيب الأرنؤوط.

(٤) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج ٤، ص ١١، حديث رقم (٣٨٨٧)، صححه الألباني.

فطلب العلم يؤدي إلى الفهم الصحيح للإسلام، يقول عليه الصلاة والسلام: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"^(٢)، التنشئة الأسرية تزود الفرد بالفكر الصحيح السليم المحقق للأمن الفكري والبعد عن الغلو والتطرف، وتزود الإنسان بالعلم لأن الجهل هو أحد أسباب الغلو والتطرف والتنشئة الأسرية تعمل على رد الشبهات والانحرافات الفكرية والعقدية التي قد تؤدي إلى الانحراف الفكري عند الفرد فعلى سبيل المثال تزود الأسرة الفرد أن مسألة إصدار الأحكام الشرعية لا تكون إلا بأمر من الله لأنها تشريع، والتشريع لا يكون إلا لله وحده وإذا ادعى أحد حق التشريع فهو مفترٍ، يقول سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْوَحْيَ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ هُوَ الَّذِي نُفِثَ مِنْهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَى قَلْبِكَ وَتَأْتِيَكَ بِهِ تَحْقِيقًا﴾ [النحل: ١٠٦] فالتنشئة الأسرية تجعل الإنسان وقفاً عند حدود الله سبحانه وتعالى في الحكم على الآخرين، فلا يغلو في الحكم على الناس بالكفر والإيمان.

فالتنشئة الأسرية تعمل على تربية عقل الفرد على سعة الأفق، والنظرة الكلية للحياة والتفكير، المنطقي القائم على ربط المقدمات بالنتائج، والنظر في عواقب الأمور.

الوسيلة الثانية : بناء شخصية الفرد السوية:

(۱) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ۳، ص ۱۲۷۴، حدیث ۳۲۶۹.

(۲) رواہ البخاری، صحیح البخاری، ج ۱، ص ۳۷، حدیث ۶۷.

الفكر والسلوك وفيما يلي أهم الأسس التي تسهم في بناء شخصية سوية بعيدة عن الانحراف الفكري والسلوكي:

أ. تربية الفرد تربية متوازنة:

التربية المتوازنة، هي مجموعة المعارف والمهارات والاتجاهات والقيم التي تسهم في إعداد أفراد يتصفون بالقصد والاعتدال في كافة شؤون حياتهم، وهذه التربية هي التربية التي جاء بها الإسلام^(١)، فالتأمل في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. يلحظ الاهتمام الواضح بالتوازن في بناء الشخصية الإنسانية، فثمة نصوص تدعو إلى الاهتمام بالعقل، وأخرى تدعو إلى الاهتمام بالجسد والنفس، فالتركيز على جانب دون آخر ينتج شخصية مبتورة غير متوازنة، وبالتالي الانحراف نحو الخلل في التدين.

ب. تربية الفرد على البحث العلمي:

كثيراً من مظاهر الخلل الفكري تحتاج إلى بحث علمي بسيط وينكشف لأمر للباحث، لذا يجب بناء شخصية الفرد على البحث العلمي أي إعداد المتعلم لإتقان فن التعامل مع المعلومات وفق منهجية علمية تكون قادرة على التحليل والاستنباط.

ج- تنمية ثقة الفرد بنفسه

اتبع الرسول ﷺ لتنمية ثقة الطفل بنفسه عدداً من الطرائق منها: إشعار الطفل بقيمته الذاتية، واحترام شخصيته، مدحه والثناء عليه، والابتعاد عن كثرة لومه وعتابه، فقد كان الرسول ﷺ يبدأ بالسلام على الأطفال احتراماً لهم لإشعارهم بقيمتهم الذاتية وحتى يكون نموهم النفسي سليماً، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يسلم على الصبيان وكان ﷺ يحسن استقبال الأطفال، الأمر الذي يبعث شعور الانبساط عند الأطفال، ويحل الابتهاج في قلوبهم، ويناقص الخوف لديهم ويشعرهم بالأمان، فيألف الطفل منهم الجو ويزداد ابتهاجاً ومرحاً وتتولد لديه الثقة بالنفس^(٢)، فعن عبد الله بن جعفر قال: كان النبي ﷺ "إذا قدم من سفر تلقى بنا، قال فتلقني بي وبالحسين أو الحسن، قال فحمل أحدهما بين يديه والآخر خلفه حتى دخلنا المدينة"^(٣).

إن مما يؤثر في التنشئة النفسية للطفل استعمال القسوة والشدة في معاملته، والإكثار من لومه وزجره، فالإسراف في معاملة الطفل بقسوة لا يحقق نمواً نفسياً سليماً للطفل، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: خدمت

(١) علي الجم، التربية المتوازنة مدخل لتطوير مناهج التاريخ الإسلامي لمواجهة تحديات العولمة في مناهج التعليم الديني في العالم الإسلامي، ماليزيا، الجامعة الإسلامية العالمية، ٢٠٠٥، ص ٣٩٢-٤٠٢.

(٢) أسامة بدوي، رعاية الإسلام للطفولة جسدياً ونفسياً، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة القرآن الكريم، السودان، ص ٢٦٨.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٨٦، حديث رقم (٢٤٢٨).

النبي ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي أنا قط ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا...^(١)، بينما يحقق المدح والثناء على الطفل الأثر الفاعل في نموه النفسي، وتنمية ثقته بنفسه، فيحرك مشاعره وأحاسيسه، ويبادر الطفل إلى تصحيح سلوكه، فترتاح نفسه وترهو بالثناء، يقول ﷺ: "نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل..."^(٢).

د- التعامل مع أفراد الأسرة بعطف وحنان.

إن التعامل مع أفراد الأسرة بعطف وحنان يؤثر في نفوسهم تأثيراً قوياً وعجيباً، ويورث الطلاقة والحيوية، ويجعلهم على أتم استعداد لتلقي الأوامر، ومعاملتهم بعيداً عن العطف والحنان، ومصادرة حقهم في الرعاية والعطف، يجعلهم عرضة للأمراض النفسية في مستقبل حياتهم وأيامهم.

وقد تعددت صور العطف والحنان في سيرة النبي ﷺ، ومن هذه الصور: تقديم الهدايا للأطفال، فتقدم الهدايا له أثر بالغ في النفس البشرية عامة، وفي نفوس الأطفال خاصة، فعن عائشة رضي الله عنها. قالت: قدمت على النبي ﷺ حلية من عند النجاشي أهداها له، فيها خاتم من ذهب، فيه فص حبشي، قالت: فأخذه رسول الله ﷺ يعود معرضاً عنه أو ببعض أصابعه ثم دعا أمامه بنت أبي العاص ابنة زينب فقال: تحلي بهذا يا بنية"^(٣).

ومن صور العطف على الطفل، الدعاء له وتجنب الدعاء عليه، فقد حذر النبي ﷺ من الدعاء على الأولاد، لأن ذلك يسبب الأذى النفسي والاجتماعي للأطفال، يقول ﷺ: "لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم...."^(٤).

وقد كان النبي ﷺ يداعب الصغار تارة بالركض، وأخرى بالحمل، وثالثة بتصغير الاسم ورابعة بالمضاحكة، فكان يلاعب أحفاده وأبناء الصحابة، ويروح عن نفوسهم ويدخل السرور عليهم "فالطفل الذي يتلقى مقدراً كافياً من العطف والحب، والرحمة من أبويه ويرتوي من ينبوع الحب، يملك روحاً غضة ونشطة ولا يشعر بالحرمان، ولا يصاب بالعقد النفسية، وتفتح له أزاهير الفضائل في قلبه، وينشأ إنساناً عطوفاً يحب الجميع ويبادلهم الودّ والمحبة، فالعامل مع الأطفال بمحبة وإيجابية ولطف ولين مع احترامهم وتقديرهم يساهم كل ذلك في تفتح شخصياتهم وتنمية قدراتهم الإبداعية... فهم يحتاجون إلى بناء شخصيتهم وإشعارهم بالاهتمام، وهذا بلا شك يترك أثراً حسنة في نفوسهم، ويعودهم على الثقة بالنفس ويربي فيهم العزة والأنفة وحب الغير والتآخي...."^(٥).

و- العدل بين أفراد الأسرة:

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص ١٨٠٤، حديث رقم (٢٣٠٩).

(٢) صححه الألباني، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (٦٧٧١).

(٣) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج٢، ص ١٢٠٢، حديث رقم (٣٦٤٤)، حسنه الألباني.

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج٤، ص ٢٣٠٥، حديث رقم (٣٠٠٩).

(٥) سهام جبار، الطفل في الشريعة الإسلامية، بيروت، المكتبة العصرية، ط١٩٩٧، م١، ص ٤٦١.

إن العدل من أرفع الفضائل الخلقية وهو من صفات الحق سبحانه وتعالى، التي أمر عباده بالتحلي بها، يقول سبحانه: ﴿چ چ چ چ چ چ چ ی د ت ث ذذ ڈ ژ ژ ر چ﴾ (سورة النحل، آية ٩٠)، والسنة النبوية تزخر بالأمثلة الدالة على وجوب العدل، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه. أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نخلت ابني هذا غلاماً كان لي، فقال رسول الله ﷺ: "أكل ولدك نخلته مثل هذا؟ فقال لا، فقال رسول الله ﷺ: "فأرجعه"^(١).

إن عدم العدل بين الأبناء يوقظ فيهم مشاعر القلق والاضطراب، والطفل القلق يحس دوماً بالعذاب النفسي، الأمر الذي يؤدي إلى العديد من الأمراض النفسية وعدم التوافق بين الطفل ومحيطه، فشعور الطفل بأن أحد والديه يميل إلى أخيه ويكرمه ويدلله سيقود الطفل إلى شراسة لا يقوى عليها الأبوان، فإحوة يوسف لما علموا ما في قلب يعقوب عليه السلام من محبة ليوسف وميل إليه رموا أباهم بالخطأ يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ ثَرْثَرُوا عَلَىٰ كَيْفَ يُؤَدَّبُ الْيَتِيمَ﴾ (سورة يوسف، آية ٨). فالمساواة بين الأبناء إحدى الأسس المهمة في التنشئة النفسية السليمة للأطفال، فغياب العدالة والمساواة يسبب كثيراً من الأمراض النفسية، وقد نبه النبي ﷺ على أهمية العدالة في كل أمر يتعلق بالأطفال، فعن أنس رضي الله عنه "أن رجلاً كان عند النبي ﷺ، فجاء ابن له فقبله وأجلسه على فخذه، وجاءت بنت له فأجلسها بين يديه فقال رسول الله ﷺ "ألا سويت بينهما؟" (٢).

فتوجيه عاطفة المحبة نحو بعض الأبناء دون بعض، وعقد المقارنات بينهم أمر لا يحمد عقباه، فهو يورث الغيرة والبغض والحقد، فأخر ما يرضي الطفل أن نقارنه بأحد، فهو يطلب أن نعجب به بصفاته هو، بالمقارنة تضعه في حالة تنافس مليئة بالقلق وتجعله حساساً للغاية لأي تفاوت في المعاملة بينه وبين إخوته^(٣).

إن الاهتمام بالطفل الصغير والانتباه إلى كل ما يؤثر في نفسيته ومعاملته معاملة كريمة فيها التقدير والاحترام لذات الصغير أمر مهم في التربية الإسلامية، فالاعتاد عند كثير من الناس إغفال شأن الصغير لصغره، وأنه لا يدرك الأمور، وفي حقيقة الأمر وواقعه أن الطفل الصغير شديد الحساسية، مرهف الشعور لكثير من الأمور التي يغفل عنها ويهملها الكبار، وقد لا يستطيع الصغير التعبير عن إدراكه وشعوره ولكن ذلك لا ينفي وجود الإدراك والشعور لديه^(٤).

الوسيلة الثالثة : القدوة الحسنة والسلطة الضابطة

(۱) رواہ مسلم، صحیح مسلم، ج ۳، ص ۱۴۲۱، حدیث (۱۶۲۳).

(٢) رواه البخارى، الأدب المفرد، ج ١، ص ٤٧، حديث (٩٣).

(٣) سبوك، حديث إلى الأمهات، مشاكل الآباء في تربية الأبناء، ترجمة منير عامر، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١٩٨٦م، ص ١٠٤.

(٤) محمد حسين، العشرة الطيبة، الإسكندرية، دار الدعوة، ط٣، ٢٠٠٥م ص ٢٨٦.

ذهب علماء النفس إلى أن الطفل مقلد لأبويه في كثير من أعماله، لأن الطفل بطبيعته يرى أن ما يقوم به والداه هو العمل الأكمل، الذي يجب أن يحتذيه، ومن أجل هذا يجب على الوالدين أن يكونا قدوة صالحة لأبنائهم في كل ما يقومون به من أعمال وأقوال، ففي إحدى الدراسات وجد أن الأطفال الأكثر كرمًا، والذين تقاسموا مع أصدقائهم كثيراً من الحلوى، هم الذين كانوا يرون في آبائهم صفات الكرم والتعاطف والحب^(٢).

والقدوة الحسنة تعدّ السلطة الضابطة للإنسان، التي هي أساس نشئته الاجتماعية والأخلاقية، فوجود السلطة الضابطة في حياة الطفل تجعله يميز بين الخير والشر، والصحيح والخطأ، وبين ما هو أخلاقي وغير أخلاقي، وما يسمح به الدين والعادات وما ينهى عنه، لأن الطفل في طفولته غير ناضج في سلوكه، وتصرفاته غير مسؤولة^(٣).

(١) عبد الله علون، تربية الأولاد في الإسلام، ط ٣١، دار السلام، مصر، ١٩٩٧م، ص ٤٩٩.

(٢) سهام جبار، *الطفل في الشريعة الإسلامية* بيروت، المكتبة العصرية، ط١، ١٩٩٧م، ص ١٢٩.

(٣) مريم النعيمي، *اشرافات تربوية*، بيروت، لبنان، دار ابن حزم، ط ١، ١٩٩١م، ص ٣٣.

وأخيراً فإن من أكبر المزالق التي يقع فيها الأبوان على وجه التحديد منافاة أفعالهم لما يدعون إليه أبنائهم، وهذه المنافاة والمناقضة تجعل الأبناء في حيرة من أمرهم: كيف نلتزم بما أمرنا به، وأبونا وأمنا لا يلتزمان؟ إن مثل هذه الملاحظات تجعل الأبناء في شك من صدق ما يدعون إليه فلو كان الخير في تلك الدعوة إذاً لماذا لا يبدأ الآباء بأنفسهم فيصلحون أحوالهم بالدرجة الأولى. يقول الدكتور سبوك: "إن الطفل يكون قيمه الأساسية عن الحياة من تقليده لوالديه... " (٢).

[illegible]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن التنشئة الأسرية قد تكون هي إحدى أسباب التطرف، فصراع الأجيال الذي ينشأ داخل الأسرة الواحدة والتفكك الأسري الذي ينشأ من غياب الأب والأم أو كلاهما معاً، بالإضافة إلى غياب القدوة الصالحة، بيئة خصبة لنشوء الفكر المنحرف، الذي هو أصل إخلال أمن المجتمع المسلم. فالأسرة أساس تكوين المجتمع، وفيها يتعلم الفرد قيمه ومفاهيمه وعقائده وأحكام دينه وهي إما أن تساهم في تنامي شعور التطرف، وبالتالي فقدان الأمن داخل المجتمع المسلم، أو تساهم في تأصيل الفكر الوسطي لدى الأفراد؛ لأن الأشياء تتحدد والقضايا تتنوع، ولن تقف عند حكم شخص لذلك لا بد أن يكون هناك منهج واضح معتدل في الحكم، وهو المنهج الوسطي الذي يحقق أمن الفرد والمجتمع على حد سواء.

[illegible]

(١) عبد الرحمن السديس، الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، في الأمن الفكري، جامعة نايف العربية، ط١، ٢٠٠٥، ص ١٦.

فالإيمان سبب تحصيل ولاية الله لعبادة "فولاية الله لعباده هي أعلى المصالح التي يستفيد بها المؤمنون من تحقيق الإيمان، وهي الخطوة الأولى التي يجب أن يسعى إليها المؤمنون في مجابهة المخططات الفكرية، والخلاص منها، وفي مجابهة كل أساليب الأعداء، فهي حصن عظيم يحصن الله به عباده من كل مكروه....." ^(١). فله سبحانه وتعالى بالمؤمنين الطافاً يحصنهم بها من الفكر الهدام، فيحوطهم بالعناية والرعاية ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويصرف عنهم كيد عدوهم.

فالتنشئة الأسرية تحمي الفرد من الغلو في الدين فتبين له أن الإسلام يذم الغلو؛ لأن الغلو يقود إلى الضلال، لذا جاء النهي عن الغلو في قوله تعالى: ج ا ب ب د پ پ د پ پ ی ی ث ث ذ ذ ت

ث ج [المائدة: ٧٧]

[illegible]

(٤) يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجمود والنظر، دار الشروق، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٢٦.

وهنا لا تكون العصا التي يفرض بها الرأي من حديد أو خشب، وإنما اتهام بالابتداع والاستهتار بالدين وبالفكر والمروق من الدين^(١). وغالباً ما يكون التعصب للرأي تعصباً لا يعترف معه للآخرين برأي ولا يسمح له برؤية واضحة لمصالح الخلق، ولا مقاصد الشرع، ولا ظروف العصر ولا يفتح نافذة للحوار مع الآخرين لموازنة ما عندهم بما عنده والأخذ بعد ذلك بما يرى أنه أقوى دليلاً وحجة، والعجيب أن المتعصب يميز لنفسه أن يجتهد في أعوص المسائل وأغمض القضايا ولكن لا يميز لعلماء العصر المتخصصين منفردين أو مجتمعين أن يجتهدوا في رأي يخالف ما ذهب إليه من رأي^(٢).

والسؤال الذي يثار ما أسباب التعصب؟ يرى الباحث أن السبب الرئيس للتعصب للرأي "نصف العلم" الذي يظن صاحبه أنه دخل في زمرة العلماء، وهو يجهل الكثير من العلم، ثم التمسك بحرفية النص دون التغلغل إلى فهم فحوى النص، ومعرفة مقصده أو قد يكون التعصب بسبب الاندفاع القوي دون بصيرة لنيل مركز الاحترام والتقدير وثمة أسباب عدة للتعصب للرأي منها أسباب علمية وتربوية ونفسية واجتماعية، كلها تدعو الفرد للتعصب للرأي.

ب - التكفير:

يقف المسلم عند حدود الله سبحانه وتعالى في الحكم على الآخرين، فلا يغلو في الحكم على الناس بالكفر أو الإيمان، فلا يضفي صفة الإيمان على من كفر بالله سبحانه ورسوله وراح يهزأ بالدين، وكذلك لا يضفي صفة الكفر على من آمن بالله ورسوله والتزم بأوامر الشرع الحنيف.

ولكن البعض يسلك مسلكاً واضحاً في تكفير المسلمين، ولا شك أن هذا الأمر في غاية الخطورة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ، إذا قال الرجل لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه^(٣)، وتكفير المسلم أمر خطير، يترتب عليه حل دمه وماله والتفريق بينه وبين زوجته، فلا يرث ولا يورث ولا يوالي، وإذا مات لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه، والتكفير يفتح الباب واسعاً لإحداث الفوضى في المجتمع المسلم، كما يفتح الطريق لليأس والقنوط من رحمة الله تعالى، فلا يسارع عاص إلى التوبة ولا يبادر إلى الاستغفار، بل قد يدفعه إلى المزيد من الابتعاد عن شرع الله، وكما أن التكفير بحاجة إلى دليل قطعي الثبوت قطعي الدلالة. لذا ينبغي أن يكفر من يجاهر بالكفر دون حياء، وأن يكف عمن ظاهره الإسلام، وإن كان باطنهم خراباً من الإيمان ولم تصدق أفعالهم أقوالهم، فلا يحكم إلا بظاهرهم، وهو الإسلام وفي الآخرة لهم عذاب الله سبحانه وتعالى، فالإقرار بالشهادتين مفتاح لأن يعصم الدماء والأموال

(١) أسامة حافظ، حرمة الغلو في الدين وتكفير المسلمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠٤، ص ٢٨.

(٢) يوسف القرضاوي، الصحو الإسلامية بين الجمود والتطرف، مرجع سابق، ص ٣٥-٣٦.

(٣) يحيى بن زكريا النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث، ط٢، ١٣٩٣هـ، ج ٢، ص ٤٩.

والعلم يجعل الإنسان يفهم النصوص الشرعية فهماً سليماً، فعدم فهم الكتاب العزيز كان سبباً في انحراف بعض الفئات ، فثمة من حرّف اللفظ عن دلالته إلى معاني أخرى من غير دليل، وآخرون اعتمدوا العقل وجعلوا للقرآن ظاهراً وباطناً، أو اعتمدوا الرأي المجرد والأهواء، يقول ابن تيمية رحمه الله: "ينبغي أن يقصد إذا ذكر لفظ من القرآن والحديث أن يذكر نظائر ذلك اللفظ ماذا عني بها الله ورسوله، فيعرف بذلك لغة القرآن والحديث وسنة الله ورسوله التي يخاطب بها عباده، وهي العادة المعروفة في كلامه، ثم إن كان لذلك نظائر في كلام غيره، وكانت النظائر كثيرة عرف من تلك العادة واللغة مشتركة عامة لا يختص بها هو ﷺ، بل هي لغة قومه ولا يجوز أن يحمل كلامه على عادات حدث بعده في الخطاب ، لم تكن معروفة في خطابه وخطاب أصحابه كما يفعله كثير من الناس" (٢).

وكذلك العلم يقود إلى الوسطية ، التي هي "التوازن والتعادل بين طرفين ، بحيث لا يطغى طرف على آخر، فلا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير، وإنما اتباع للأفضل، والأعدل والأجود والأكمل"^(٣)، وليس المقصود من الوسطية أن يكون في درجة المتوسط في عبادات أو عمله أو سلوكه، ولا أن يكون متوسط العلم أو العمل أو الخلق يعني أنه لا يكون متقدماً في أي من هذه الأمور، بل الوسطية هي الأجود والأفضل والأعدل، وقد وصف الحق سبحانه وتعالى أمته وسطاً يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قَدْ قَفَّ قَفَّ قَفَّ جَ جَ جَ جَ [البقرة: ١٤٣] .

(٣) أحمد عمر هاشم، وسطية الإسلام، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٥.

إن عدم تلقي العلم من أهله المختصون بمعرفته، وتلقيه من الكتب بشكل مباشر من أهم أسباب الخلل في التدين، فالمعلم هو الذي يميز للطالب الصحيح من السقيم، فالعلم المتلقي هو علم مصفى من كل آفات العلم وعيوبه، ولتلقي العلم فائدة أخرى وهي التربية والاقتداء بالمعلم، وأخذ منه، والتأسي بأقواله وأفعاله، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "من فقه الرجل ممساه ومدخله ومخرجه مع أهل العلم"^(١)، فالقدوة عامل مهم في إصلاح الأفراد، فالمرابي الصدوق الشجاع ينشئ شاباً صدوقاً أميناً خلوقاً كريماً شجاعاً، فالقدوة من أفعال الوسائل وأقرها إلى النجاح، فمن السهل تأليف كتاب أو تصور منهج، ولكنه غير ذا جدوى ما لم يتحول إلى حقيقة تتحرك في واقع الأرض يترجمه البشر بسلوكات وتصرفات حقيقية.

ثانيا : فتح باب الحوار:

الحوار أسلوب يقتضي وجود طرفين، يدور بينهم كلام يقصد من ورائه الحكم على أمر إيجاباً أو سلباً، وهو أحد الأساليب الهامة في علاج مظاهر الخلل في الدين، ويؤثر في النفس الإنسانية تأثيراً إيجابياً وبخاصة إذا كان الحوار صادقاً ومخلصاً يريد الخير والتحذير من مظاهر الخلل.

[illegible]

أ. الحوار التنبهّي الإيضاحي:

يدل على هذا الحوار الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله اعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل أرايت إن كان في أخي ما أقول، قال: إن كان فيه ما تقوم فقد اغتبتته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتته" ^(٣).

ب. الحوار التذكيري:

(١) رواه ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، ج ٥، ص ٢٣٥، حديث رقم (٢٥٥٩١).

(٢) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط٣، ١٩٩٩م، ص ٢٠٦.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٠١، حديث رقم (٢٥٨٩).

ويقوم هذا الحوار على التذكير بأحداث حاضرة أو ماضية ، كالتذكير بنعم الله تعالى أو بالذنوب أو الانحرافات التي يسلكها شخص ما ، ولهذا الحوار أثر عميق في النفس البشرية، يدل على هذا النوع من الحوار قوله تعالى: ﴿ تَتَذَكَّرُ أَنتَ وَلَكِنَّ أَكْثَر النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٢٢].

ت. الحوار التعريضي:

يتضمن هذا النوع من الحوار إيصال القناعة بفكرة ما إلى ذهن السامع أو المحاور من غير طريق التلقين المباشر ، وهو أشد تأثيراً في بعض الأحيان من التلقين المباشر، ومن أمثلة ذلك خطاب الحق سبحانه وتعالى الذي يتضمن تعريضاً بالمشركون كوصف مساوئهم أو ضعفهم أو الاستهزاء بهم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَفِي يَوْمٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ أَنَّهُ كَانَ زَاغِلًا مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [النجم: ٣٣-٣٨].

ث. الحوار الجدلي:

وهو حوار يجري فيه نقاش غايته إثبات حجة، ويربي على الحماسة للحق وتحري الصواب ويربي العقل على التفكير السليم، وثمة أنواع أخرى للحوار يمكن استخدام أيها منها بشرط الإخلاص.

والحوار حتى يعطي ثماره في معالجة مظاهر الخلل في فقه التدين، لابد فيه من تحديد المرجعية والمتمثلة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، يعصم الأمة من خطأ تعدد المرجعيات المذهبية والطائفية والشخصية لأن آراء المذاهب أو الطوائف أو العلماء لا تشكل مرجعية لعامة الناس، يقول الدكتور طه جابر العلواني متحدثاً عن أهمية المرجع: "لابد من عملية تحديد الإطار المرجعي لهذه الأمة من جديد، بحيث لا يصبح التراث كله وحدة مصدر الأصالة كلها، ولا المعاصرة والحداثة كلها - وكما هي - إطاراً مرجعياً بحجج مختلفة، فإن الإنسان لا يمكن أن يبدع إذا بلغت مصادره التي يرجع إليها هذا الحد من الكثرة والسعة، وبالتالي فالإطار المرجعي ينبغي أن يتحدد للمسلم المعاصر، بالقرآن مصدراً مستنداً للفكر والتصور والعقيدة والقيم، وأسس التنظيم وقواعدها والسنة النبوية باعتبارها مصدراً مبنياً لهذا القرآن. بمختلف أنواع البيان"^(١).

ولابد أن يكون الحوار وفق برنامج بعيداً عن العشوائية، فعقلية البرنامج هي النقطة الفاصلة بين المشروع والعشوائية، وهذا لا يتم إلا بضبط منطلقات توضح بدقة الهدف والوسائل والطرائق وتحدد الخطاب، وبهذا تنطلق العملية من اتفاق تتقاسم فيه الأدوار كل حسب موقعه، وبقي الإشارة أنه لابد من التلطف في معاملة المغالين والمفرطين بشكل عام وأثناء الحوار بشكل خاص يقول الشيخ الغزالي: "وانطلاق الأفراد أو

(١) طه جابر العلواني، كيف نفهم متغيرات المستقبل من خلال ثوابت الماضي، كتاب المعرفة، السعودية، ط١، ١٩٩٩م، ص ٤٠-٤١.

أخطر ما ابتليت به الأمة عقلية العوام، وهي عقلية التقليد وإهمال النظر والفكر، فالتقليد داء يؤدي إلى إنكار البدهيات والحقائق، ويؤدي إلى التحيز والتعلق بكل ما هو شاذ وغريب، يقول سبحانه وتعالى: **چ گ گ گ گ گ گ ن ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ہ ہ ہ ہ ہ ہ ہ ہ**. ولا يقصد بمفهوم التجديد للدين إيجاد دين جديد، بل هو إعادة فهم الدين كما كان السلف يفهمه، وعلى حسن تطبيقه في الواقع وفق أصله يوم نشأته، عن طريق تنقيته من المخالفات والبدع التي علقت به، بسبب أهواء البشر على مر العصور والتصدي للمستجدات التي تحدث في كل عصر بغية بيان حكم الله. والتجديد يكون بهذا صنو الاجتهاد، الذي هو بذل الجهد في طلب العلم بأحكام الشريعة، أي است فراغ الفقيه الوسع لتحصيل ظن بحكم شرعي^(٢).

[illegible]

(٣) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج ٤، ص ١٠٩، حديث رقم (٤٢٩١).

ونهى النبي ﷺ عن التقليد، حيث قال: "لتتبعن سنن من قبلكم شيراً بشير، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا حجر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى، قال فمن" (١).

والإسلام يدعو إلى العلم والاجتهاد، فقد إذن النبي ﷺ للصحابة بالاجتهاد في حياته ومن ذلك حديث معاذ عندما بعثه قاضياً إلى اليمن، فقال كيف تصنع إن عرض ذلك القضاء، قال: اقض بما في كتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله، قال اقض بسنة رسول الله ﷺ قال فإن لم يكن في سنة رسول الله قال اجتهد ولا آلو، فضرب رسول الله ﷺ بيده على صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله (٢).

الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات

النتائج:

خلص البحث إلى النتائج الآتية:

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٢٧٤، حديث رقم (٣٢٦٩).

(٢) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج ٣، ص ٣٠٣، حديث رقم (٣٥٩٢٠).

أولاً: التنشئة الأسرية من المنظور الإسلامي، هي مجموعة الأساليب والوسائل المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة والتي يمارسها الوالدان، والمحيط الأسري مع الأبناء الصغار، من أجل بناء شخصياتهم.

ثانياً: الأمن الفكري، هو تهيئة المناخ وتوفير الظروف من أجل الإحساس بالطمأنينة والثقة على مجموعة المفاهيم والتصورات والمبادئ والعقائد التي يؤمن بها الإنسان، والتي مصدرها الوحي الإلهي أو التصورات البشرية المنضبطة بالوحي الإلهي.

ثالثاً: يمكن للأسر التزام الجانب الوقائي في حماية الأفراد من الانحراف الفكري، والمتمثلة في القواعد الآتية:

- تجنب الأفراد الفراغ ورفاق السوء.
- التحذير من التقليد السلبي للأفراد المنحرفين فكرياً.
- استخدام الثواب والعقاب في الأسرة.
- مراقبة الخادومات في البيوت وتجنب الزواج بغير المسلمات.
- رابعاً: من أجل تحقيق الأمن الفكري للأفراد على الأسر الأخذ بالآتي:
 - توجيه الأفراد نحو تعلم القراءة والكتابة وطلب العلم.
 - بناء شخصية الفرد بشكل سوي.
 - تمثل القدوة الحسنة مع السلطة الضابطة.

خامساً: يمكن علاج مظاهر الانحراف الفكري عن طريق.

- التوجيه نحو طلب العلم الشرعي.
- فتح باب الحوار.
- التشجيع على التجديد في الفكر.

التوصيات:

- إيلاء التنشئة الأسرية الاهتمام اللازم وذلك بالاعتماد على الكتاب والسنة .
- مراقبة البرامج التلفازية من حيث المضمون، والعمل على إيجاد برامج هادفة وتناسب جميع مراحل النمو الإنساني.
- العمل على تنظيم جلسات حوارية داخل الأسر، وترغيب الأفراد في طرح ما لديهم من أفكار.
- العمل على إيجاد مكتبة ولو صغيرة في البيت فيها ما يناسب جميع أفراد الأسرة.
- عدم استخدام الخادמות في البيوت إلا للضرورة.

- المراجع

- إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٩٧٣، ١/١٧.
- إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط ٢، ١٩٧٥ م.
- إبراهيم خليفة، المرييات الأجنبية في البيت العربي الخليجي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٧ هـ.
- أحمد الدغشي، الأساس الفطري في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، ١٩٩٥ م.
- أحمد العايد وآخرون، المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة، الكويت، ١٩٨٨ م.
- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مصر، مؤسسة قرطبة.
- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن ابن قاسم، الرباط، مكتبة المعارف.
- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٣ م.
- أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي، مسند أبي يعلى، دمشق، دار المأمون، ط ١، ١٩٨٤ م.
- أحمد عكاشة، الطب النفسي المعاصر، القاهرة مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٩٨ م.
- أحمد عمر هاشم، وسطية الإسلام، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩٨ م.
- أسامة بدوي، رعاية الإسلام للطفولة جسدياً ودينياً، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القرآن، جمهورية السودان، ٢٠٠٠ م.
- أسامة حافظ، حرمة الغلو في الدين وتكفير المسلمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ٢٠٠٤ م.
- إسماعيل بن كثير القرشي، تفسير القرآن الكريم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٩٩٣ م.
- جلال الدين عبد الخالق، الجرمة والانحراف، الإسكندرية، مكتبة سامي، ١٩٩٧ م.
- جمال الدين بن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر بيروت، ١٩٥٥، مادة أمن.
- جميل بن عبيد الله القرارعة، الأمن الفكري في الإسلام مقوماته ومزاياه في الأمن رسالة الإسلام، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، ٢٠٠٥ م.
- خالد النجار، التربية التلفازية بين الإيجابيات والسلبيات.
- سبوك، حديث إلى الأمهات، مشاكل الآباء في تربية الأبناء، ترجمة منير عامر، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ١٩٨٦ م.

- سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم، ط ٣، ١٤٠٢هـ.
- سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
- سنة الخولي، الأسرة الحية العائلية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٤.
- سهام جبارة، الطفل في الشريعة الإسلامية، بيروت، المكتبة العصرية، ط ١، ١٩٩٧م.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، بيروت، دار الشروق، ط ٢٥، ١٩٩٦م.
- طه جابر العلواني، الأزمة الفكرية المعاصرة، تشخيص ومقترحات علاج، المعهد العالي للفكر الإسلامي، والولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٨٩م، ط ١.
- طه جابر العلواني، كيف نفهم متغيرات المستقبل من خلال ثوابت الماضي، كتاب المعرفة، السعودية، ط ١، ١٩٩٩م.
- عبد الحميد الهاشمي، المرشد في علم النفس الاجتماعي، جدة، دار الشروق، ١٩٨٩م.
- عبد الرحمن السديس، الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، في الأمن الفكري، جامعة نايف العربية، ط ١، ٢٠٠٥.
- عبد الرحمن النحلوي، أصول التربية الإسلامية، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط ٣، ١٩٩٩م.
- عبد الله الجربوع، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، الجامعة الإسلامية، ط ٢، ١٤٢٨هـ.
- عبد الله بن محمد بن أبي شيبه، مصنف ابن أبي شيبه، الرياض، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- عبد الله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام، مصر، ط ٣١، ١٩٩٧م.
- عدنان باحارث، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، جده، دار المجتمع، ط ٥، ١٩٩٦م.
- علي الجمل، التربية المتوازنة مدخل لتطوير مناهج التاريخ الإسلامي لمواجهة تحديات العولمة في مناهج التعليم الديني في العالم الإسلامي، ماليزيا، الجامعة الإسلامية العالمية، ٢٠٠٥م.
- قطب سانو، معجم مصطلحات أصول الفقه، لبنان، دار الفكر، ط ١٠، ٢٠٠٠م.
- محمد الطاهر عاشور، التحرير والتنوير، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ط ١، ٢٠٠٠م.
- محمد الغزالي، كيف نفهم الإسلام، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٦م.
- محمد بن إسماعيل البخاري، الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، ط ٣، ١٤٠٩هـ.
- محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، ١٩٨٧، ط ٣.

محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير، ط ٣، ١٩٨٧م.

محمد بن حبان التميمي، صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، ط ٢.

محمد بن حبان، صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.
محمد بن علي الشوكاني، فيض القدير، الجامع بين في الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت.
محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الصحيح لسنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، تحقيق أحمد محمد شاكر.
محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مصر، طبع مكتبة مصطفى الحلبي، ط ٢، ١٩٥٢م.
محمد حسين، العشرة الطيبة، الإسكندرية، دار الدعوة، ط ٣، ٢٠٠٥م..

محمد صوالحة، ومحمد حوامدة، أساسيات التنشئة الاجتماعية للطفولة، أربد، دار الكندي، ط ١، ١٩٩٤م.
محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ج ٣.
محمد ناصر الدين الألباني، صحيح وضعيف الجامع الصغير، بيروت، المكتب الإسلامي.
محمود طنطاوي، أمن الطفل من منظور إسلامي، دبي، مركز البحوث والدراسات، ١٩٩٨م.
مروان القيسي، نظام الأسرة في الإسلام، عمان، دار النفائس، ط ١، ٢٠٠٨م.
مريم النعيمي، إشراقات تربوية، بيروت، لبنان، دار ابن حزم، ط ١، ١٩٩١م.
مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
مصطفى القضاة، واقع تعاطي المخدرات ودور الأسرة في الوقاية منها من منظور إسلامي، جامعة اليرموك، عمادة البحث العلمي، ٢٠٠٤.

مصطفى حوامدة، التنشئة الاجتماعية في الإسلام، أربد، دار الكندي، ط ١، ١٩٩٤م.
يحيى بن شرف النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث، ط ٢، ١٣٩٢هـ.
يوسف القرضاوي، الصحة الإسلامية بين الجمود والتطرف، دار الشروق، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٢٦.

S. L. Albercht & D. L. Thomas. Social Psychology New Jersey: Prentice – Hall Inc, 1980.